سلسلة الثقافة الإسلامية ٨٤

# تأمّلات في دعاءِ شهر رجب

محمّد مهدي الآصفي

مختارات من محاضرات ومقالات
ومؤلفات الشيخ محمد مهدي الآصفي
- ٨٤ -

* * *

اسم الكتاب: ........................ تأملات في دعاء شهر رجب
المؤلف: ......................................... محمّد مهدي الآصفي
الطبعة الثانية: ...................................... ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠م
الكمية ........................................................ ٥٠٠٠ نسخة
المطبعة:........ مطبعة مجمع أهل البيت ^ النجف الأشرف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(يا مَنْ اَرْجُوهُ لِكُلِّ خَيْر، وَآمَنَ سَخَطَهُ عِنْدَ كُـلِّ شَرٍّ، يا مَنْ يُعْطِي الْكَثيرَ بالْقَليل، يا مَـنْ يُعْطـي مَـنْ سَأَلَهُ يا مَنْ يُعْطي مَنْ لَمْ يَسْأَلْهُ وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْهُ تَحَنُّناً مِنْهُ وَرَحْمَةً، اَعْطِني بِمَسْأَلَتي اِيّاكَ جَميعَ خَيْرِ الـدُّنْيا وَجَميعَ خَيْرِ الآخِرَةِ، وَاصْرِفْ عَنّـي بِمَسْـأَلَتي اِيّـاكَ جَميعَ شَرِّ الدُّنْيا وَشَرِّ الآخِرَةِ، فَاِنَّهُ غَيْرُ مَنْقُـوص مـا اَعْطَيْتَ، وَزِدْني مِنْ فَضْلِكَ يا كَريمُ . يـا ذَا الْجَـلالِ وَالاْكْرامِ، يا ذَا النَّعْماء وَالْجُودِ، يا ذَا الْمَنِّ وَالطَّـوْلِ، حَرِّمْ شَيْبَتي عَلَى النّارِ).

**الرواية**

قال السيد ابن طاووس (رضوان الله عليه) المتوفى سنة ٦٦٤هـ في إقبال الأعمال:

ومن الدعوات (في) كل يوم من رجب ما ذكره الطرازي، فقال: دعاء علمه أبو عبد الله عليه السلام محمد السجاد، وهو محمد بن ذكوان (الذي) يُعرف بالسجاد. قالوا سجد وبكى في سجوده حتى عمي.

روى أبو الحسن علي بن محمد البرسي رضي الله عنه، قال: أخبرنا الحسين بن أحمد بن شيبان، قال: حدثنا حمزة بن القاسم العلوي العباسي، قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن عمران البرقي، عن محمد بن علي الهمداني، قال: أخبرني محمد بن سنان، عن محمد السجاد في حديث طويل قال:

قلت لأبي الله عليه السلام: جعلت فداك، هذا رجب، علمني فيه دعاء ينفعني الله به.

قال: فقال لي أبو عبد الله عليه السلام: (اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم. قل في كل يوم من رجب صباحاً ومساءً، وفي أعقاب صلاتك، في يومك وليلتك: يا مَنْ اَرْجُوهُ لِكُلِّ خَيْر، وَآمَنَ سَخَطَهُ عِنْدَ كُلِّ شَرٍّ، يا مَنْ يُعْطِي الْكَثيرَ بِالْقَليلِ، يا مَنْ

يُعْطي مَنْ سَأَلَهُ يا مَنْ يُعْطي مَنْ لَمْ يَسْأَلْهُ وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْهُ تَحَنُّناً مِنْهُ وَرَحْمَةً، اَعْطِني بِمَسْأَلَتي اِيّاكَ جَميعَ خَيْرِ الدُّنْيا وَجَميعَ خَيْرِ الْاخِرَةِ، وَاصْرِفْ عَنّي بِمَسْأَلَتي اِيّاكَ جَميعَ شَرِّ الدُّنْيا وَشَرِّ الْاخِرَةِ، فَاِنَّهُ غَيْرُ مَنْقُوص ما اَعْطَيْتَ، وَزِدْني مِنْ فَضْلِكَ يا كَريمُ.

قال: ثم مدّ أبو عبد الله عليه السلام يده اليسرى على لحيته ودعا ربه الدعاء، وهو يلوذ بسبابته اليمنى، ثم قال بعد ذلك:

يا ذَا الْجَلالِ وَالْاِكْرامِ، يا ذَا النَّعْماءِ وَالْجُودِ، يا ذَا الْمَنِّ وَالطَّوْلِ، حَرِّمْ شَيْبَتي عَلَى النّارِ.

وفي حديث آخر: ثم وضع يده على لحيته، ولم يرفعها، إلاّ وقد امتلأ ظهر كفه دموعاً)[1].

## توضيح وتبيين

هذان دعاءان يتألف الشطر الأول منهما من أربع نداءات ودعاء، ويتألف الشطر الثاني من ثلاث نداءات ودعاء.

---

(١) إقبال الأعمال للسيد ابن طاووس ٣ / ٢١٢ ط١ مكتب الإعلام الإسلامي ١٤١٦هـ.

أما الدعاء الأول فتسبقها نداءات أربعة وهذه النداءات الأربعة تتضمن المنازل الأربعة للرحمة الإلهية في حياة الإنسان. وهي: منزل الرجاء، ومنزل العمل، ومنزل الدعاء، ومنزل الفقر. وفي الدعاء إشارة إلى ما ينزل من الخير من الله سبحانه إلى الإنسان، وما يصدر من شرّ وعصيان من الإنسان تجاه ربّ العالمين.

ومعرفة هذا الخط النازل والصاعد في علاقة الله بعباده على درجة عالية من الأهمية لئلا يخرج الإنسان عن طور العبودية.

وإليك النداءات الأربعة في الشطر الأول من هذا الدعاء:

يا من أرجوه لكل خير، وآمن سخطه عند كل شر.

يا من يعطي الكثير بالقليل.

يا من يعطي من سأله.

يا من يعطي من لم يسأله ومن لم يعرفه تحنّناً منه ورحمة.

وبعد هذه النداءات الأربعة يأتي الدعاء الأول:

أعطني بمسألتي إياك جميع خير الدنيا وجميع خير الآخرة.

واصرف عني بمسألتي إياك جميع شر الدنيا وشر الآخرة.

فإنه غير منقوص ما أعطيت.

وزدني من فضلك يا كريم.

* * *

ويتألف الشطر الثاني منهما من ثلاث نداءات ودعاء.

في هذه النـداءات نـدعو الله تعـالى بجلالـه وإكرامـه أولا، وبنعمائه وجوده ثانياً، وبمنّه وطوله ثالثاً.

ثمّ يأتي دور الدعاء، بعد هذه النداءات الثلاثة، وهو دعـاء رقيق، يحمل تـذلل العبـد المـذنب وخضـوعه بـين يـدي رب جليل كريم ذي النعماء والجود، وذي المنّ والطول.

وهـذا الـدعاء هـو: (حـرّم شـيبتي علـى النـار). والله تعـالى كريم، ومن كرمه إكـرام الشـيبة التـي ابيضـت فـي الاسـلام.. فيحتمي العبد المذنب بشيبته التي عرف أنّ الله تعـالى يكرمهـا من غضبه في النار.

وإليك الدعاء الثاني بالنداءات الثلاثة التي تسبقه:

يا ذا الجلال والإكرام

يا ذا النعماء والجود

يا ذا المنّ والطَّول

حرّم شيبتي على النار.

# الشطر الأوّل من الدعاء

## النداءات الأربعة:

قلت: إن الدعاء الأول يتألف من أربع نداءات ودعاء.

والنداءات الأربعة تسبق الدعاء.

وهذه النداءات تتضمن المنازل الأربعة للرحمة الإلهية في حياة الإنسان.

وهذه المنازل الأربعة هي:

١ـ منزل الرجاء والأمن ٢ـ ومنزل العمل ٣ ـ ومنزل الدعاء ٤ ـ ومنزل الحاجة والفقر.

وهذه الأربعة من أهم منازل الرحمة الإلهية.

ولابد لهذا الإجمال من بسط وشرح.

وإليك هذا الشرح:

## منازل رحمة الله في حياة الإنسان:

رحمة الله وسعت كل شيء، ولا تضيق بشيء، وتنزل على كل مكان، وفي كل زمان، وعلى كل شيء، فهي واسعة شاملة عامة.

ولكن هناك منازل لرحمة الله تعالى في حياة الإنسان، تصب عليها رحمة الله صباً غزيراً فتغمره، وتختلف عن غيرها من المنازل والأمكنة والأزمنة، وفي هذه المنازل يستنزل الإنسان رحمة الله أكثر من غيرها.

وهذه المنازل كثيرة، منها الصلاة، فإن الإنسان في حال الصلاة يستنزل رحمة الله، فقد ورد أن للعبد دعاءً مستجاباً بعد كل فريضة.

ومنها التقوى، فإن التقوى من منازل رحمة الله: **{وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ}**[1] ومنها الاضطرار إلى الله، يقول تعالى: **{أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوء}**[2] ومنها حالات انكسار القلب. فإن الله عند القلوب المنكسرة[3].

ومنها المساجد، ومنها السجود، وإطالة السجود بين يدي الله.

---

(١) الأعراف: ٩٦.

(٢) النمل: ٦٢.

(٣) الآداب المعنوية للصلاة ١ / ٨٦ .

ومنها وادي عرفة يوم عرفة بعد الزوال، فإن رحمة الله تصبّ على هذا الوادي في يوم عرفة صبّاً وتغمر الوادي ومن فيه ولا يضاهيه مكان وزمان آخر، عدا الحائر الحسيني كما ورد في الروايات.

ومن منازل رحمة الله الاستغفار في الأسحار.. فإن رحمة الله تغمر المستغفرين بالأسحار. ومن منازل رحمة الله تعالى اجتماع المؤمنين وتآلفهم وتفاهمهم وتحابّهم فإن «يد الله مع الجماعة»[١].

ومن هذه المنازل صلوات الجماعة فإنها من منازل رحمة الله. ومنها الصدقة، فإن الصدقة تستنزل رحمة الله وتدفع البلاء.. ومنازل رحمة الله كثيرة والعارفون العقلاء من عباد الله يعرفون هذه المنازل جيداً، ويحرصون على أن يحضروها ولا يغيبوا عنها، ويرتادوها، وتسكن نفوسهم إليها، كما تسكن نفوس أهل الدنيا إلى الدنيا.

---

(١) ميزان الحكمة ١: ٤٠٦: ٥٢٧.

## المنازل الأربعة لرحمة الله:

ومن أهم هذه المنازل، المنازل الأربعة التالية:

١ـ منزل الرجاء والأمن ٢ ـ ومنزل العمل ٣ ـ ومنزل الدعاء ٤ ـ ومنزل الفقر.

وهذه المنازل تتضمنها النداءات الأربعة الواردة في هذا الدعاء.

**النداء الأول**: «يا من أرجوه لكل خير، وآمن سخطه عند كل شر»، وهذا هو منزل الرجاء والأمن.

**النداء الثاني**: «يا من يعطي الكثير بالقليل»، أي الكثير من الجزاء بالقليل من العمل وهذا هو منزل العمل.

**النداء الثالث**: «يا من يعطي من سأله» وهو منزل الدعاء والسؤال.

**والنداء الرابع**: «يا من يعطي من لم يسأله ومن لم يعرفه» وهو منزل الفقر والحاجة تنزل عنده رحمة الله تعالى على عباده لحاجتهم وفقرهم، وليس لسؤالهم ودعائهم فقط.

وفي كل نداء لله يستفتح العبد باباً من أبواب رحمة الله، وأسماء الله مفاتيح لرحمة الله، فإذا دعوتم الله فادعوه بأسماء

الرحمة، فإن كل اسم من هـذه الأسـماء يفـتح للعبـد بابـاً مـن أبواب رحمة الله الواسعة.

وإليك شرحاً للمنازل الأربعـة الـواردة فـي هـذه النـداءات الأربعة:

## ١ـ منزل الرجاء

وأول هذه المنازل منزل الرجاء. وعلى قدر رجاء العبد من ربـه، وأملـه فيـه وثقتـه بـه وحسـن ظنـه بـه تعـالى تنـزل عليـه الرحمـة، ويكـون قريبـاً مـن الله تعـالى ، وكلّمـا يكـون العبـد أرجـى لله، وأوثـق بـه يكـون أقـرب إلـى الله تعـالى، ويكـون دعاؤه قريباً إلى الاستجابة.

وفي الحديث القدسي «أنا عند ظنّ عبـدي بـي، فـلا يظـنّ بي إلا خيراً»(١).

وأوحى الله إلى موسى بن عمران كليمه عليه السلام: «ما دعـوتني ورجوتني، فإني لك سامع»(٢).

---

(١) بحار الأنوار ٩٠: ٣٠٥ ح١ عن عدة الداعي ص:١٣٢.

(٢) الوسائل ٧: ٥٣ ح٥.

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: «إذا دعوت فأقبل بقلبك، وظُنَّ حاجتك بالباب»(١).. هكذا يكون الدعاء برجاء وثقة في الله مطلقة بأن الله تعالى قد استجاب دعاءه، وأن حاجته بالباب.

والثقة بالله يكشف عن درجة معرفة العبد لله، كما أن مخافة العبد من الله تعالى تكشف عن درجة معرفة العبد لله.

بقدر علم العبد بالله ومعرفته لله تكون خشيته من الله يقول تعالى: {**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء**}(٢).

## بين الخير النازل والشر الصاعد:

إلى جانب هذا الرجاء العريض برحمة الله، الأمان من عقوبة الله وغضبه، عند كلّ شر وعصيان صادر من العبد.

والعبد يقع بين هذا الخير النازل الذي يرجوه ويطلبه من الله، والشر الصاعد منه إلى الله، الذي يأمن عنده عقوبة الله.

وفي دعاء عرفة للإمام الحسين عليه السلام، في وادي عرفة

---

(١) الكافي ٢: ٤٧٣ ح٣.

(٢) فاطر: ٢٨.

نلتقي هـذه اللوحـة الرائعـة للخيـر النـازل مـن الله إلـى عبـاده، والشر الصاعد من العباد إلى الله.

«اَنْتَ الَّذى مَنَنْتَ، اَنْتَ الَّذى اَنْعَمْتَ، اَنْتَ الَّـذى اَحْسَـنْتَ، اَنْتَ الَّذى اَجْمَلْتَ، اَنْتَ الَّذى اَفْضَـلْتَ، اَنْـتَ الَّـذى اَكْمَلْـتَ، اَنْتَ الَّذى رَزَقْتَ، اَنْتَ الَّذى وَفَّقْتَ، اَنْتَ الَّذى اَعْطَيْـتَ، اَنْـتَ الَّذى اَغْنَيْتَ، اَنْتَ الَّذى اَقْنَيْتَ، اَنْتَ الَّذى آوَيْتَ، اَنْـتَ الَّـذى كَفَيْتَ، اَنْتَ الَّذى هَـدَيْتَ، اَنْـتَ الَّـذى عَصَـمْتَ، اَنْـتَ الَّـذي سَـتَرْتَ، اَنْـتَ الَّـذي غَفَـرْتَ، اَنْـتَ الَّـذي اَقَلْـتَ، اَنْـتَ الَّـذي مَكَّنْتَ، اَنْـتَ الَّـذي اَعْـزَزْتَ، اَنْـتَ الَّـذي اَعَنْـتَ، اَنْـتَ الَّـذي عَضَدْتَ، اَنْتَ الَّذي اَيَّـدْتَ، اَنْـتَ الَّـذي نَصَـرْتَ، اَنْـتَ الَّـذي شَـفَيْتَ، اَنْـتَ الَّـذي عافَيْـتَ، اَنْـتَ الَّـذي اَكْرَمْـتَ، تَبارَكْـتَ وَتَعالَيْتَ..».

وهذا هو الخير النازل من عند الله.

ثم الشرّ الصاعد من العبد إلى الله:

«اَنَا الَّذي اَسَأتُ، اَنَا الَّذي اَخْطَـأتُ، اَنَـا الَّـذي هَمَمْـتُ، اَنَـا الَّذي جَهِلْتُ، اَنَـا الَّـذي غَفِلْـتُ، اَنَـا الَّـذي سَـهَوْتُ، اَنَـا الَّـذِي اعْتَمَـدْتُ، اَنَـا الَّـذي تَعَمَّـدْتُ، اَنَـا الَّـذي وَعَـدْتُ، وَاَنَـا الَّـذي اَخْلَفْتُ، اَنَا الَّذي نَكَثْتُ، اَنَا الَّذي اَقْـرَرْتُ، اَنَـا الَّـذِي اعْتَرَفْـتُ

بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَعِنْدي، وَأَبُوءُ بِذُنُوبي فَاغْفِرْها لي، يا مَنْ لا تَضُرُّهُ ذُنُوبُ عِبادِهِ، وهُوَ الَغَنِيُّ عَنْ طاعَتِهِمْ».

إن معرفة هذا الخط النازل والصاعد في علاقة الله بعباده، وعلاقة العباد بالله، على درجة عالية من الأهمية والضرورة ليعرف الإنسان طبيعة هذه العلاقة، ولئلا يخرج عن طور العبودية والإحساس بالتقصير في أداء حقوق العبودية، ولا يأخذه العُجب إذا صلّى ركعتين أو أنفق من ماله درهمين.

**الرجاء والأمن**:

إنّ العبد يعيش بين هذا الخط الصاعد والخط النازل في رجاء وأمن.

رجاء برحمة الله وفضله وجوده وعطائه، وأمن من عقوبته وعذابه وغضبه.

رجاء برحمة الله، لأن الله أرحم الراحمين، تفيض رحمته على عباده من غير انقطاع. رحيم، سلام مؤمن، يُعطي لعباده الأمن والسلام، ويُشعر عباده بالأمن والسلام.

وسعت رحمته غضبه: {رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا}[1] {وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ}[2] والعبد شيء من الأشياء، تَسَعَه رحمة الله إن شاء الله.

ونقرأ هذه الرائعة من روائع أدب الدعاء في سعة رحمة الله تعالى لإمام الساجدين علي بن الحسين عليه السلام برواية أبي حمزة الثمالي & .

«وَاَيُّ جَهْل يا رَبِّ لا يَسَعُهُ جُودُكَ، اَوْ اَيُّ زَمان اَطْوَلُ مِنْ اَناتِكَ، وَما قَدْرُ اَعْمالِنا في جَنْبِ نِعَمِكَ ؟

وَكَيْفَ نَسْتَكْثِرُ اَعْمالاً نُقابِلُ بِها كَرَمَكَ، بَلْ كَيْفَ يَضيقُ عَلَى الْمُذْنِبينَ ما وَسِعَهُمْ مِنْ رَحْمَتِكَ.

وَما اَنَا يا رَبِّ وَما خَطَري، هَبْني بِفَضْلِكَ، وَتَصَدَّقْ عَلَيَّ بِعَفْوِكَ اَيْ رَبِّ جَلِّلْني بِسَتْرِكَ، وَاعْفُ عَنْ تَوْبيخي بِكَرَمِ وَجْهِكَ

(١) غافر: ٧.
(٢) الأعراف: ١٥٦.

« اَيْ رَبِّ جَلِّلْنـي بِسَـتْرِكَ، وَاعْـفُ عَـنْ تَـوْبيخي بِكَـرَمِ وَجْهِكَ ».

## الأمن بين الخوف والرجاء:

ولكن الرجاء هو أحد حدّي الأمن، وحدّه الآخر: الخـوف مـن الله، فـإن الأمـن الـذي لا يحـدّه الخـوف مـن الله يـدفع الإنسان إلى معصية الله.

إن «الرجاء» حالة لابد منها في علاقة العبد بالله، ومـن دون الرجاء، تبقى علاقة الإنسان بالله علاقة نصفية، تخيفـه مـن الله، ولا تحبّـب الله إليـه، وتبعـث فـي نفسـه القلـق والخـوف، ولا تمنحه الطمأنينة والسكينة.

والعكس أيضا صحيح، فإن العلاقة إذا كانـت قائمـة علـى الرجاء فقط، لا يخالطها الخوف، تُجرّئ الإنسان على معصـية الله، ويتسـامح صـاحبها فـي مراقبـة نفسـه مـن مزالـق الأهـواء والفتن، ويتسلل الشيطان إلى نفسه. ولكـي لا ينحـدر الإنسـان إلى مثل هذه المنحدرات المخيفة، لابد أن لا يـأمن مكـر الله، ولا يغلبه الرجاء على الخوف.

وعلاقة من هـذا النـوع رجـاء لا خـوف فيـه، أو خـوف لا

رجاء معه، لا توصل الإنسان بالله وصلاً صحيحاً، ولا تعرّف العبد بربه معرفة كاملة.

فإن العلاقة النصفية تؤدي إلى وصل نصفي ومعرفة نصفية.

وسلامة الإنسان وقيمته بسلامة علاقته بالله، فإذا اختلّت علاقته بالله، اختل توازنه في الحياة، وسقطت قيمته.

وسلامة العلاقة بالله بالتوازن في العلاقة بين الرجاء والخوف، فلا يغلبه الخوف على الرجاء، ولا يغلبه الرجاء على الخوف... وإنّما يكون بينهما.

وليس معنى ذلك أن يتردّد بين الخوف والرجاء، وإنما معنى ذلك أن يمزج بين الخوف والرجاء، فيخاف الله ويهابه في رجاء، ويرجوه في مهابة وخشية، ويوازن في علاقته بالله بين الخوف والرجاء.

عن أمير المؤمنين عليه السلام: «الفقيه كل الفقيه من لم يُقنط الناس من رحمة الله، ولا يؤيسهم من رَوح الله ولا يؤمنهم من مكر الله»[1].

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة ٩٠.

والآن نقرأ ونتأمل هذه الفقرة من الدعاء:

«يا من أرجوه لكل خير وآمن سخطه عند كل شرّ».

**رجاء وأمن:**

رجاء في كلّ خير نازل من عند الله إلى عباده، وأمن في كل شر صاعد من العبد إلى الله، وما بين الله وبيننا لا يزيد عن هاتين الكلمتين:

«خيرك إلينا نازل ، وشرنا إليك صاعد».

فما كان من الله نازلاً إلينا فالحمد لله، وما كان منا صاعداً إلى الله فنستغفر الله.

ونحن نرجو الله تعالى في كل خير نازل من الله إلى عباده، ونأمن عقوبة الله في كل شر صاعد منا إلى الله.

والرحمة والخير نازلان من عند الله من غير انقطاع، يفيضان على العباد فيضاً دائماً متصلاً لا انقطاع له.. فإن الله تعالى رحمان، ورحيم، ورؤوف، وكريم، وجواد، ومحسن، فلا يمكن أن ينقطع عن جنابه الإحسان والخير والرحمة.. والأمر كل الأمر أن يجعل الإنسان نفسه في منازل رحمة الله، وأن يتعرض لمنازل رحمة الله، ويكون عند منازل الرحمة.

ومن بؤس الإنسان وشقائه أن يُحجب عن كل هذا الخير النازل من غير انقطاع ، فلا يسعى إليه في منازله ولا يرجو الله له، ولا يتعرض له.. وهذا هو المنزل الأول.

## ٢ ـ منزل العمل

والمنزل الثاني لرحمة الله في هذه النداءات الأربعة، منزل العمل: «يا من يعطي الكثير بالقليل» أي الكثير من الجزاء بالقليل من العمل، فقد جعل الله تعالى جهد الإنسان وحركته وعمله من أسباب الرحمة. فهو يرزق عبده، ويوسّع عليه إذا خرج إلى السوق والمزرعة، ويقتّر عليه إذا تهاون في السعي والحركة.

وليس من شك أنّ الله تعالى هو الرزاق ذو القوة المتين. وليس من رازق غير الله، ورزق العبد من عند الله، وليس من السوق والمزرعة، لاشك في هذه الحقيقة، ولكن الله تعالى جعل العمل من منازل الرزق والرحمة.

وقد تكرّر في القرآن ذكر «العمل الصالح» بعد «الإيمان» في عوامل فلاح الإنسان وتوفيقه.

وذَكَر الله تعالى «الإيمان» و«العمل الصالح» في سورة

العصر سبباً لنجاة الإنسان من «الخسر» والسقوط: **{وَالْعَصْرِ، إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ، إِلاّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ}**[١].

ومصاديق العمل الصالح كثيرة وواسعة في حياة الإنسان، والعمل الصالح هو الجهد الذي يطلب به الإنسان وجه الله تعالى... وبناءاً على هذا التعريف للعمل الصالح لا يختلف الجهد الذي يبذله الإنسان في السوق، ابتغاء وجه الله ورحمته عن صلاته وصومه.. فإن كلاً منهما عمل صالح، ولكن لا يغني بعضه عن بعض.

والله تعالى يدعو عباده إلى العمل، ويعطي الإنسان بعمله.

* * *

والآن نعود إلى النداء الوارد في الدعاء: «يا من يعطي الكثير بالقليل».

فنتساءل: ما هو القليل وما هو الكثير؟ وما هي العلاقة بين القليل والكثير؟

---

(١) العصر: ٣.

القليل هو أعمالنا، والكثير هو الجزاء والعطاء الذي يرزق الله عباده في مقابل العمل.

والعطاء الإلهي على نحوين: بالمقابلة وبدون مقابل.

ولا نقصد بالمقابلة: الموازنة والمعادلة، فإن جزاء الله تعالى وعطاءه لا يوازنه ولا يعادله شيء من أعمالنا.

وهذه المقابلة هي التجارة والشراء الذي يدعو إليه القرآن، بين الله وعباده.

يقول تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ، تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ، يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}**[1]. «تجارة رابحة أعدّها لهم ربهم»[2].

---

(١) الصف: ١٠ ـ ١٢.

(٢) نهج البلاغة، من خطبة يصف فيها أمير المؤمنين عليه السلام المتقين.

ويقول تعالى: {**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالأَنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**}(١).

وهذا العطاء هو الذي يرزق الله عباده في مقابل العمل، يتناسب مع العمل، وليس يعادله ويساويه.

وهناك نحو آخر من العطاء الإلهي بغير مقابل نتحدث عنه إن شاء الله.

والعطاء الذي يضمنه الله لعباده في مقابل العمل يحكمه قانون التناسب بين العمل والجزاء وليس قانون المعادلة والموازنة.

فليس يساوي ما نرفعه إلى الله من عمل صالح ما يؤتينا الله من ثواب وجزاء.

فإن الجهد الذي نبذله في العمل الصالح أمر زائل لا

---

(١) التوبة: ١١١.

محالة مهما استطال به الزمن.

وما يؤتينا الله من الثواب والجزاء لا ينفد: {**مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ**}[١] هذا من حيث الكيف.

ومن حيث الكم: {**مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**}[٢] هذا تمثيل فقط .. ومع ذلك فإن هذا التمثيل من قبل أن يضاعف الله: {**وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ**} {**وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**}.

والله يجزي عباده بأحسن ما عملوا.

يقول تعالى: {**لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ**}[٣].

{**وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ**}[٤].

---

(١) النحل: ٩٦.

(٢) البقرة: ٢٦١.

(٣) التوبة: ١٢١.

(٤) النحل: ٩٧

ومعنى الجزاء بأحسن العمل أن يتخذ الله من كل صنف من أعمالهم أفضل نموذج من ذلك الصنف، ثم يجعل ذلك النموذج مقياساً للجزاء في كل أفراد ذلك الصنف.

وهذا غاية في كرم الجزاء.

فإن الجزاء ثلاثة:

اللؤم في الجزاء، والعدالة في الجزاء، والإحسان في الجزاء.

أما اللؤم في الجزاء فهو أن يأخذ «الجازي» أضعف أفراد عمل «العامل» ويجعل منه مقياساً يجزي به سائر أفراد عمل العامل.

فقد يصادق شخص آخر عشر سنين، ويجد من صاحبه خلال هذه السنين جميلاً كثيراً وتعاملاً حسناً، وعوناً وإحساناً، ثم يلقي منه مرة واحدة غضباً وانفعالاً وكلمات قاسية، فيقاطعه من أجلها، وينسى كلّ الذي لقاه منه من جميل وإحسان خلال هذه الفترة ويتنكّر له.

وهذا أسوأ الجزاء، ولا يكون إلاّ من لئيم، يأخذ بأضعف النماذج من العلاقة خلال السنوات العشر ويجعلها مقياساً يجزي به كل مفردات العلاقة خلال هذه الفترة.. وهذا هو

اللؤم في الجزاء.

والنوع الثاني من الجزاء العدالة في الجزاء. وهو ما يلتزم به الناس عادة، في الأحوال العادية السوية من العلاقة، يأخذون بنظر الاعتبار مجمل العلاقة، ومعدلها المتوسط، ويقيمون العلاقة وجزاءها طبقاً للمعدل المتوسط، كما تفعل إدارات المدارس في تقويم درجة الطالب الامتحانية.. وهذا هو العدل في الجزاء.

والإحسان في الجزاء فوق ذلك كله، وهو ما ذكرناه من جزاء الله لعباده «بأحسن ما عملوا» يأخذ الله أحسن نموذج من عمل العبد، ويجعل هذا النموذج المفضل مقياساً لجزاء المحسنين. والله تعالى سيد المحسنين.

ولست أدري ماذا أعدّ الله تعالى لعباده من إحسان بعد هذا الإحسان؟ فإن الله تعالى يقول: **{ليجزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ}**[1]، فما هذه الزيادة التي يتمم الله تعالى بها إحسانه إلى العباد إذا كان يجزيهم بأحسن

---

(١) النور: ٣٨.

ما عملوا.. فيزيدهم من فضله ، فوق هذا الإحسان.

وهذا هو المنزل الثاني.

## ٣ ـ منزل السؤال والدعاء

«يا من يعطي من سأله»: وهذا هو المنزل الثالث من منازل الرحمة وهو العطاء بالسؤال والدعاء، والطلب، من غير مقابل ولا عمل.

فقد قلنا إن العطاء على نحوين:

عطاء في مقابل العمل، وعطاء من غير مقابل.

وهذا عطاء من غير مقابل، وبالسؤال والطلب فقط.

والله تعالى كما يعطي بالعمل يعطي بالطلب، وكل منهما باب من أبواب رحمة الله، ومنزل من منازل رحمة الله.

والذي لا يسأل، ولا يدعو يحرم من هذا العطاء الإلهي الواسع.

ولنتأمل في هذه الفقرة: «يا من يعطي من سأله» إنها معادلة طرفاها السؤال والعطاء، والعطاء فيها يعادل السؤال. فمن سأل يعطيه الله كما سأل، وهو مقتبس من قوله تعالى:

{ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ}[1] فتعادل الاستجابة في هذه الآية الكريمة الدعاء.

فإن الله تعالى لا يرد دعاء عبد قط، إلاّ أن يكون من لقلقة اللسان، ولا يحمل روح الدعاء وحقيقته، ولن تعود يد ارتفعت إلى الله تعالى بالدعاء إلى صاحبها فارغة، كما ارتفعت ، إلا بواحدة من ثلاث: التعجيل في الإجابة، أو التأجيل في الإجابة، أو التبديل.. وسوف يأتي تفصيل ذلك إن شاء الله.

## ٤ـ منزل الفقر

من منازل رحمة الله تعالى منزل الفقر. وأمر هذا المنزل عجيب، ووعي هذا المنزل يحوج الإنسان إلى درجة عالية من المعرفة، ليدرك الإنسان العلاقة بين رحمة الله ومواضع الحاجة والفقر في هذا الكون.

إن رحمة الله تعالى تنزل على مواضع الحاجة والفقر في هذا الكون كله، في عالم الإنسان والملائكة والجن والحيوان

---

(١) غافر: ٦٠.

والنبات والجماد من دون فرق، وكما يـرزق الله تعـالى المـاء إلـى إنسـان اشـتد بـه الظمـاء وانقطـع عنـه المـاء، فـي قلـب الصحراء، كذلك يبعث الله تعالى السحاب لينقـل المطـر إلـى شـجر أو عشـب أو شـوك قـد أضـرّ بـه الجفـاف فـي قلـب الصحراء، وكما يبعث الله تعـالى الحبّـة مـن الطعـام إلـى دودة في اطراف نائية من الارض أو على قمم شاهقة من الجبال.

وإلـى هـذا المنـزل يشـير الإمـام الصـادق 7 فـي الـدعاء الذي علّمه لمحمد بن ذكوان السجاد ; : (يـا مـن يعطـي مـن سأله، يا من يعطي مـن لـم يسـأله ومـن لـم يعرفـه، تحنناً منـه ورحمة).

إن رحمـة الله تعـالى تنـزل علـى مواضـع الفقـر والحاجـة، عرف الله صاحبه (: الفقير) أم لـم يعـرف. سـأل الله صـاحبه أم لم يسأل.

ولقـد نزلـت رحمـة الله علـى اسـماعيل وأمّـة سـارة 8 ، وهي تدعو الله تعالى وتسعى إلى الماء بين الصفا والمروة.

وفـي الطـرف الآخـر مـن الـوادي كـان اسـماعيل الرضـيع يتلظى عطشاً، فاستجاب الله تعالى لـدعاء ام اسـماعيل وسـعيها وفقرها، واستجاب الله لظمأ الصـغير الرضـيع فـي هجيـر ذلـك

الوادي القفر فتفجرت الارض تحت قدمي الرضيع بالزلال البارد العذب.

وقد استدعى ظمأ الصغير الرضيع يومئذ هذه الرحمة النازلة من عند الله، كما استدعاها دعاء هاجر وسعيها وفاقتها.. والحمد لله رب العالمين الذي يعطي من سأله ويعطي من لم يسأله ومن لم يعرفه تحنناً منه ورحمة.

وهذا المعنى الرفيع للفقر هو الذي يفتخر به رسول الله ﷺ في الرواية المعروفة عنه ﷺ: (الفقر فخري).

والفقر هنا من الناحية الفلسفية ليس فقراً في الحدوث فقط، كما يفتر البناء إلى المهندس والبنّاء، وإنما هو فقر في الحدوث والبقاء، كما في حاجة الإنارة الكهربائية إلى السيال الالكتروني، فإن المصباح يضيء ما دام السيال الالكتروني متصلاً، فإذا انقطع السيال لحظة واحدة انقطع الضوء في نفس تلك اللحظة.

وفقر الإنسان إلى الله من هذا القبيل في الحدوث والاستمرار، ووجود الإنسان، ومواهبه وحركته وحياته كلها ترتبط بالله تعالى، وتفتقر إلى الله لحظة بعد لحظة، وبصورة مستمرة ومتصلة.

يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾[1].

والحاجة والفقر تستنزلان رحمة الله تعالى وعاهما الإنسان أم لم يعهما، ورفعهما الإنسان إلى الله وعرضهما عليه تعالى أم لم يرفعهما، إلاّ أنّ الحاجة والفقر اللذين يعيهما الإنسان، ويرفعهما إلى الله، وينشرهما بين يدي الله تعالى أقوى في اجتذاب رحمة الله.

إن الحاجة إلى الله بحدّ ذاتها تستنزل رحمة الله حتى قبل الوعي والرفع إلى الله. ومثلها مثل الارض الواطئة الهشّة التي تجتذب المياه وتمتصها.

كما أن مثل الاستكبار عن الله والغرور مثل الارض الناتئة الصلدة التي ترد الماء. كذلك المستكبرون عن عبادة الله ودعائه يردّون يردون رحمة الله تعالى فلا ينالهم منها شيء، وإن وسعت السماوات والارضين. إنّ بين الفقر والرحمة علاقة تكوينية، كل منهما يطلب الآخر ويسعى إليه، الفقر إلى الله يسعى إلى رحمة الله، ورحمة الله تطلب مواضع

---

(١) فاطر/ ١٥ .

الحاجة والفقر، كما أن بين ضعف الطفل وحاجته وبين حنان الأم وعطفها علاقة وصلة، كل منهما يطلب الآخر، ضعف الطفل يطلب حنان الأم، وحنان الأم ورحمتها يطلبان ضعف الطفل لرعايته.

بل في دائرة الممكنات كل منهما يحتاج الآخر، وليست حاجة الأم إلى رعاية ضعف الطفل بأقل من حاجة الطفل إلى حنان الأم.

كذلك العالم يطلب الجاهل ليعلّمه، كما أن الجاهل يطلب العالم ليتعلّم منه وليست حاجة العالم إلى تعليم الجاهل بأقل من حاجة الجاهل إلى التعليم من العالم.

والطبيب يطلب المريض ليداويه، ويعلن عن مهنته واختصاصه ليدعو المرضى إليه، كما أن المريض يطلب الطبيب وليست حاجة الطبيب إلى المريض بأقل من حاجة المريض إلى الطبيب.

والقوي يبحث عن الضعيف ليحميه، كما أنّ الضعيف يبحث عن القوي ليحتمي به، وليست حاجة القوي إلى أن يحمي الضعيف بأقل من حاجة الضعيف إلى الاحتماء بالقوي.

إنّها سنة الله في كل شيء.

وكذلك الأمر في رحمة الله تعالى وفقر عباده، فكما أنّ الفقر يطلب الرحمة كذلك الرحمة تطلب الفقر، والله تعالى منزه عن الحاجة، فلا حاجة في ساحة الله تعالى، ولكن رحمة الله تطلب مواضع مواضع الحاجة والفقر.

ولا شحّ ولا بخل في ساحة الله، واختلاف مراتب الرحمة تتبع اختلاف مراتب الحاجة والفقر.

إنّ الارض تحتاج إلى الحرارة والنور والماء والهواء لكي تنبت، فيهبها الله تعالى الحرارة والنور والماء والهواء وهذه الحاجة طلب وسؤال، ولكن بلسان التكوين، وكلما يحتاجه <الشيء< ويقتضيه بتكوينه، فهو طلبه وسؤاله، بلسان التكوين، يقول تعالى: (يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ)[1]، وما يحتاجه الشيء ويطلبه بلسان التكوين لا يتخلف عن الإجابة.

إنّ الطفل الرضيع الذي لا يعي من نفسه شيئاً ليظمأ ويشتد به الظمأ فيعلمه الله تعالى أن يبكي ويصرخ ويعطف عليه قلب

---

(١) الرحمن/ ٢٩ .

أمه وأبيه ليدركاه ويسقياه، وظمأ الرضيع وجوعه يستنزلان رحمة الله تعالى وعطفه من دون طلب ودعاء، ويتألم المريض ويعاني من المرض فيستنزل مرضه وألمه رحمة الله تعالى.

وإنّنا لنعصي الله تعالى ونرتكب الذنوب والمعاصي فتطلب ذنوبنا ومعاصينا عفو الله تعالى ومغفرته بالسؤال والدعاء ومن دون سؤال ودعاء أحياناً ما لم يتمرد العبد على مولاه ويقسو قلبه ويطرد عن ساحة رحمة الله.

(قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ)(١).

وهذه العلاقة بين العفو والرحمة من الله والذنوب والمعاصي منّا، وبين قوة الله تعالى وضعفنا، وبين غنى الله تعالى وفقرنا، وبين شفاء الله تعالى لنا وأمراضنا، وبين إنقاذ الله تعالى لنا واضطرارنا إليه، وبين علم الله تعالى وجهلنا وشططنا حتى عن غير سؤال وطلب ودعاء...

---

(١) الزمر/ ٥٣.

أقول: إنّ هذه العلاقة من اسرار هـذا الـدين كمـا هـي مـن اسرار هذا الكون وقوانينه. وما لم يفهـم الإنسـان هـذا القـانون في الكون وفي علاقة الإنسان بالله تعالى لا يسـتطيع ان يـدرك طائفـة واسـعة مـن معـارف هـذا الـدين وأسـراره، وكـم مـن مـريض شـفي برحمـة الله مـن غيـر سـؤال (وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ)[1].

وكم مـن مضـطر فـي لجـج البحـار أو تحـت الانقـاض أو تحت ظلال السيوف أو في وسط الحريق، أدركتـه رحمـة الله تعالى وأنقذته من غير سؤال ولا دعاء.

وكم من ظمآن بلغ به الظمأ مبلغاً استنفد مقاومتـه فأدركتـه رحمة الله تعالى وأروته من غير سؤال ولا طلب.

وكم من إنسان واجه الاخطـار، وكـان علـى قـاب قوسـين منها وهو يعلم أو لا يعلم فجاءه >ستر الله< فأنقذه منها.

وكم من إنسان وصل إلى طريق مسـدود فـي حياتـه ففـتح الله تعالى له الف طريق، وكل ذلك مـن غيـر سـؤال ولا طلـب ولا دعاء، بل دون ان يعـرف صـاحبه الله تعـالى كثيـراً، فضـلاً

---

(١) الشعراء/ ٨٠.

عن أن يعرفه فلا يطلب منه.

وكم من رضيع تدركه رحمة الله تعالى دون ان يطلب من الله، ودون أن يسأل الله تعالى[١].

وقد ورد في دعاء الافتتاح:

«فكم يا إلهي من كربة قد فرجتها، وهموم قد كشفتها، وعثرة قد أقلتها، ورحمة قد نشرتها، وحلقة بلاء قد فككتها».

وورد في أيام رجب:

«يا من يعطي من سأله، يا من يعطي من لم يسأله ومن لم يعرفه تحنناً منه ورحمة».

وليس الفقر هنا فقراً في الحدوث كما يفتقر البناء إلى

---

(١) وهذا لا يعني أن الناس لا يموتون تحت الانقاض في الزلازل، ولا يحترقون في الحرائق، ولا يهلكون في لجج البحار، ولا يموت إنسان من المرض والألم، ولا يموت طفل رضيع، فقد صمم الله تعالى هذا الكون بموجب «الرحمة» و«الحكمة»، فإذا كانت حكمة الله تقتضي وقوع كارثة في إنسان أو حيوان أو نبات فلا يعني ذلك أن ننفي البعد الآخر من فضل الله تعالى وصفاته الحسنى، وهو الرحمة، ومن الناس من يخضع لسنن الله تعالى وحكمته في البلاء والضراء ثمّ تنزل عليه رحمة الله تعالى الواسعة في اللحظات الحرجة من حياته.

المهندس. .

وفي المناجاة الرجبية:

(ولكن عفوك قبل عملنا).

إنّ عفو الله تعالى يطلب سيئتاتنا.

إذن الحاجة والفقر من منازل رحمة الله تعالى، وحيث يكون الفقر وتكون الحاجة تجد رحمة الله تعالى.

وللعارف الرومي الشهير بيت من الشعر في هذا الباب اذكر ترجمته.

يقول العارف الرومي: ›لا تطلب الماء واطلب الظمأ حتى يتفجر الماء من كل أطرافك وجوانبك‹.

وقد وردت الاشارة إلى هذه العلاقة بين رحمة الله تعالى وحاجة عباده وفقرهم، في مناجاة بليغة ومؤثرة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام نورد فيما يلي طرفاً منها:

›مَوْلايَ يا مَوْلايَ اَنْتَ الْمَوْلى وَاَنَا الْعَبْدُ وَهَلْ يَرْحَمُ الْعَبْدَ اِلاَّ الْمَوْلى؟ مَوْلايَ يا مَوْلايَ اَنْتَ الْمالِكُ وَاَنَا الْمَمْلُوكُ وَهَلْ يَرْحَمُ الْمَمْلُوكَ اِلاَّ الْمالِكُ؟ مَوْلايَ يا مَوْلايَ اَنْتَ الْعَزيزُ وَاَنَا الذَّليلُ وَهَلْ يَرْحَمُ الذَّليلَ اِلاَّ الْعَزيزُ؟ مَوْلايَ يا مَوْلايَ اَنْتَ الْخالِقُ وَاَنَا الْمخْلُوقُ وَهَلْ يَرْحَمُ الْمخْلُوقَ اِلاَّ الْخالِقُ؟ مَوْلايَ

يا مَوْلايَ اَنْتَ الْقَوِيُّ وَاَنَا الضَّعيفُ وَهَلْ يَرْحَمُ الضَّعيفَ اِلاَّ الْقَوِيُّ؟ مَوْلايَ يا مَوْلايَ اَنْتَ الْغَنِيُّ وَاَنَا الْفَقيرُ وَهَلْ يَرْحَمُ الْفَقيرَ اِلاَّ الْغَنِيُّ؟ مَوْلايَ يا مَوْلايَ اَنْتَ الْمُعْطي وَاَنَا السّائِلُ وَهَلْ يَرْحَمُ السّائِلَ اِلاَّ الْمُعْطي؟ مَوْلايَ يا مَوْلايَ اَنْتَ الْحَيُّ وَاَنَا الْمَيِّتُ وَهَلْ يَرْحَمُ الْمَيِّتَ اِلاَّ الْحَيُّ؟<.

وهذا هو منزل الفقر(١).

---

(١) كتاب الدعاء لكاتب هذه السطور، ص ٣٩ - ٤٤ .

## الدعاء

بعد هذه النداءات المتوالية ننتقل إلى الدعاء وهو دعاء جليل وشريف، وإليك الدعاء:

**(اَعْطِني بِمَسْأَلَتي اِيّاكَ جَميعَ خَيْرِ الدُّنْيا وَجَميعَ خَيْرِ الاْخِرَةِ، وَاصْرِفْ عَنّي بِمَسْأَلَتي اِيّاكَ جَميعَ شَرِّ الدُّنْيا وَشَرِّ الاْخِرَةِ، فَاِنَّهُ غَيْرُ مَنْقُوص ما اَعْطَيْتَ، وَزِدْني مِنْ فَضْلِكَ يا كَريمُ ).**

وهذا الدعاء يتألف من مقدمة ومطالب ثلاثة وتفسير وتعليل.

أما المقدمة ففي آلية الوصول إلى هذه الرحمة الإلهية المفتوحة والواسعة في الدنيا والآخرة، وآلية الوصول إلى العافية والسلامة من شرور الدنيا والآخرة وآفاتهما.

وهذه الآلية هي باختصار شديد: السؤال من الله (اعطني بمسألتي إياك).

وأما المطالب الثلاثة فهي:

أولاً: (اعطني بمسألتي إياك جميع خير الدنيا وجميع خير الآخرة).

وثانياً: (واصرف عني بمسألتي إياك جميع شر الدنيا وشر الآخرة.

وثالثاً: (وزدني من فضلك يا كريم).

وأما التعليل والتفسير فهو: (فإنه غير منقوص ما أعطيت).

وبدليل هذا التعليل نطلق لانفسنا الدعاء بهذه السعة، وبهذا الانفتاح (اعطنا.. جميع خير الدنيا وجميع خير الآخرة)، (واصرف عنا جميع شر الدنيا والآخرة).. فلا تنقص خزائن رحمة ربك إذا استجاب لعباده بكل ما يطلبون منه، كما ورد في التعليل لهذا الدعاء العريض الشامل.

وإليك توضيح هذه النقاط الثلاثة:

### ١ـ آلية الوصول إلى رحمة الله:

إن رحمة الله واسعة ومطلقة لا يحدّها شيء، كما أن علمه تعالى واسع ومطلق لا يحده جهل.

(ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما). هذا أولاً.

وثانياً: إن رحمة الله قريبة من المؤمنين، يكاد المؤمن أن يرفع يديه إلى الله بالدعاء فينال ما يطلبه من رحمة الله قبل أن ترجع يداه إلى جنبيه، يقول تعالى: **(إِنَّ رَحْمَةَ اللّهِ قَرِيبٌ**

**مِّنَ الْمُحْسِنِينَ)**[١].

فإذا كان الأمر كذلك، وهو كذلك بلا ريب، فما هي آلية الوصول إلى كنوز هذه الرحمة الواسعة.

إن للوصول إلى كنوز رحمة الله مفاتيح كثيرة، منها التقوى:

**(وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً* وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ)**[٢]. إن التقوى من منازل رزق الله، ومن الوسائل التي تخرج الإنسان من الازمات والنكبات.

ومنها التوكل:

**(وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ)**[٣].

ومنها الإيمان والعمل الصالح:

**(مَنْ آمَنَ باللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وعَمِلَ صَالِحاً فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ)**[٤].

---

(١) الاعراف/ ٥٦ .

(٢) الطلاق/ ٢ - ٣ .

(٣) الطلاق/ ٣ .

(٤) المائدة/ ٦٩ .

**(مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً)**(١). وهو من الأسباب التي تجلب للمؤمنين الحياة الطيبة.

**(مَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ)**(٢).

**(وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُ جَزَاء الْحُسْنَى)**(٣).

ومنها الإيمان والشكر:

**(مَّا يَفْعَلُ اللّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ)**(٤).

**(وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ)**(٥).

ومنه العمل الصالح:

**(مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ**

---

(١) النحل/ ٩٧ .

(٢) الانعام/ ٤٨ .

(٣) الكهف/ ٨٨ .

(٤) النساء/ ١٤٧ .

(٥) إبراهيم/ ٧ .

**فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً)**[١].

**(مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ)**[٢].

ولكن من أعظم مفاتيح رحمة الله العمل والدعاء. إن الله يرزق عباده بالعمل من غير شك في الدنيا والآخرة.

يقول تعالى: **(هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ)**[٣].. قد جعل الله السعي في الارض من منازل رزقه ورحمته.

**(فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ)**[٤].

**(وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُوراً)**[٥].

**(وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى)**[٦].

---

(١) النحل/ ٩٧ .
(٢) فصلت/ ٤٦ ، والجاثية/ ١٥ .
(٣) الملك/ ١٥ .
(٤) الجمعة/ ١٠ .
(٥) الإسراء/ ١٩ .
(٦) النجم/ ٣٩ .

**(إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاء وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُوراً)**[١].

والمفتاح الآخر السؤال والدعاء.

والله تعالى يرزق عباده بالسؤال والطلب كما يرزقهم بالعمل، وإلى جانب العمل يقول تعالى: **(وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ)**[٢]. إن الدعاء في آية سورة غافر تعادل الاجابة ومع كل دعاء اجابة، والله تعالى لا يخلف وعده.

وإذا كان الله تعالى يعطي عباده بفقرهم وحاجتهم من غير سؤال ولا دعاء بل ولا معرفة، **(يا مَنْ يُعْطي مَنْ سَأَلَهُ يا مَنْ يُعْطي مَنْ لَمْ يَسْأَلْهُ وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْهُ تَحَنُّناً مِنْهُ وَرَحْمَةً)** فأولى به وبكرمه أن يعطي عباده بالمعرفة والسؤال.

إن الله تعالى قد جعل السؤال والدعاء سبيلاً إلى كنوز رحمته وفضله.

روي عن رسول الله | : (لتسألن الله أو ليغضبن عليكم. إنّ لله عباداً يعملون فيعطيهم، وآخرين يسألونه صادقين فيعطيهم، ثم يجمعهم في الجنة، فيقول الذين عملوا: ربنا

(١) الإنسان/ ٢٢ .

(٢) غافر/ ٦٠ .

عملنا فاعطيتنا، فبما اعطيت هؤلاء؟ فيقول (تعالى): هؤلاء عبادي، اعطيتكم أجوركم، ولم ألتكم (انقصكم) من اعمالكم شيئاً، وسألني هؤلاء فاعطيتهم واغنيتهم، وهو فضلي اوتيه من أشاء)(١).

ولكن ليس معنى ذلك أن الدعاء يغني عن العمل كما أن العمل لا يغني الإنسان عن الدعاء، وإنما هما يتكاملان، كل منهما يكمل الآخر.

والله تعالى يكره لعباده ان يسأل بعضهم بعضاً، ويكره لعباده ان يلح بعضهم على بعض في السؤال، ولكن يحبهما لنفسه.

عن رسول الله | : (إن الله أحبّ شيئاً لنفسه وأبغضه لخلقه. أحبّ لنفسه أن يُسأل، وليس شيء أحبّ إلى الله من أن يسأل، فلا يستحي أحدكم من أن يسأل الله من فضله، ولو شسع نعل)(٢).

وأن الله تعالى ليشتاق إلى دعاء عبده وسؤاله.

عن العبد العالم موسى بن جعفر عليه السلام: (إن الله ليؤخر إجابة

---

(١) وسائل الشيعة ٤ / ٨٤، ح ٨٦٠٩.

(٢) فروع الكافي ١/ ١٩٦، ومن لا يحضره الفقيه ١ / ٢٣.

المؤمن شوقاً إلى دعائه، ويقول: صوت أحب أن أسمعه، ويعجل إجابة دعاء المنافق، ويقول صوت أكرهه)[١].

## ٢ـ المطالب الثلاثة في الدعاء:

### الدعاء الأول والثاني

وهي من أعجب ما في هذا الدعاء:

(اَعْطِني بِمَسْأَلَتي اِيّاكَ جَميعَ خَيْرِ الدُّنْيا وَجَميعَ خَيْرِ الاْخِرَةِ، وَاصْرِفْ عَنّي بِمَسْأَلَتي اِيّاكَ جَميعَ شَرِّ الدُّنْيا وَشَرِّ الآخِرَةِ)[٢].

فلا يبقى من خير يطلبه الإنسان من الله في الدنيا والآخرة، ولا شر يطلب الإنسان ان يعافيه الله منه في الدنيا والآخرة إلا ويدخل في هذا الدعاء وهي من الأدعية الشاملة التي تجمع جميع وجوه الخير في الدنيا والآخرة وتجمع أبواب السلامة

---

(١) بحار الأنوار ٩٧/ ٢٩٦ .

(٢) لعل عدم تكرار كلمة (جميع) في الجملة الثانية من الدعاء بخلاف الجملة الأولى، لأن الشرور أمور عدمية، ولا تعدد للأمور العدمية فلا تحتاج إلى تكرار بعكس (الخير) فإنه أمر وجودي ويتكرر في الدنيا والآخرة.

والعافية من كل وجوه الشر في الدنيا والآخرة.

## الأدعية الشاملة

ولهذا الدعاء نظائر كثيرة في نصوص الأدعية المروية عن رسول الله | وأهل بيته ^ .

من ذلك ما ورد في قنوت صلاة العيد: (وأدخلني في كل خير أدخلت فيه محمداً وآل محمد).

ومن ذلك ما ورد في زيارة عاشوراء: (اللهم اجعل محياي محيا محمد وآل محمد، ومماتي ممات محمد وآل محمد).

ومن ذلك ما ورد في الدعاء:

(يا من هو في علوه قريب، يا من هو في قربه لطيف، صل على محمد وآل محمد. اللهم إني أسألك لديني ودنياي وآخرتي من الخير كله، وأعوذ بك من الشر كله).

وفي الدعاء: (واكفني ما أهمني من أمر دنياي وآخرتي).

ومن الأدعية الشاملة المروية عن أهل البيت ^ : (اللهم لا تدع لي ذنباً إلا غفرته، ولا هماً إلاّ فرّجته، ولا سقماً إلاّ شفيته، ولا عيباً إلاّ سترته، ولا سوءاً إلاّ صرفته، ولا حاجة هي لك رضا ولي فيها صلاح إلاّ قضيتها، يا أرحم الراحمين).

وفي دعاء الأسحار للإمام علي بن الحسين عليه السلام: (وهب لي رحمة واسعة جامعة، أطلب بها خير الدنيا والآخرة).

وفي الدعاء: (أسألك بنور وجهك الذي أشرقت به السماوات وانكشفت به الظلمات، وصلح عليه أمر الأولين والآخرين ان تصلي على محمد وآل محمد، وأن تصلح لي شأني كله، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين أبداً).

**رحمة الله الواسعة:**

ولِمَ يقتّر الإنسان في الدعاء تقتيراً؟ ولله خزائن السماوات والأرض (**وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**)[1]، (**وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ**)[2]، وهو باسط اليدين بالرحمة، وكلتا يديه يمين لا يشوب عطاءه بخل أو شح.

في دعاء الافتتاح للإمام المهدي (عجل الله فرجه): (الحمد لله الفاشي في الخلق أمره وحمده، الباسط بالجود

---

(١) المنافقون/ ٧ .

(٢) الحجر/ ٢١ .

يده، الذي لا تنقص خزائنه، ولا تزيده كثرة العطاء إلاّ جوداً وكرماً).

ومن أدعية ليالي الجمعة: (يا دائم الفضل على البرية، يا باسط اليدين بالعطية، يا صاحب المواهب السنية، صلّ على محمد وآله خير الورى سجية، واغفر لنا يا ذا العلى في هذه العشية).

وعن رسول الله | من الحديث القدسي: (لو أن أهل السماوات والارضين سألوني جميعاً، واعطيت كل واحد منهم مسألته ما نقص ذلك من ملكي، وكيف ينقص ملك أنا قيّمه؟)(١).

وفي الحديث عن رسول الله | : (سلوا الله وأجزلو، فإنه لا يتعاظمه شيء)(٢).

## الدعاء الثالث

تحدثنا عن الدعائين الأول والثاني ونتوقف عند الدعاء

---

(١) بحار الأنوار ٩٣ / ٣٠٣ .
(٢) بحار الأنوار ٩٣ / ٣٠٢ .

الثالث وهو (وزدني من فضلك يا كريم).

وهو حقاً يحتاج إلى توقف وتأمل.

فقد استوفى الدعاء الاول والثاني كل حاجات الإنسان في الدنيا والآخرة.

وحاجات الإنسان تتلخص في مسألتين:

طلب الخير والرحمة، ودفع الشر والنقمة ولا ثالث لهذا وذاك.

والإنسان يطلب هذا وذاك، أما للدنيا أو للآخرة، وتنتهي دنيا الإنسان بالموت، ثم يبدأ الإنسان الشطر الآخر من حياته، وهو (الآخرة). وليس بين الدنيا والآخرة دار ثالثة.

فهذان مطلبان في مساحتي الدنيا والآخرة، وهي في المجموع اربعة مطالب لا تزيد ولا تنقص، وهي كل حاجة الإنسان في الدنيا والآخرة:

(اَعْطِني بِمَسْأَلَتي اِيّاكَ جَميعَ خَيْرِ الدُّنْيا وَجَميعَ خَيْرِ الاْخِرَةِ، وَاصْرِفْ عَنّي بِمَسْأَلَتي اِيّاكَ جَميعَ شَرِّ الدُّنْيا وَشَرِّ الآخِرَةِ). . وهذه أربعة كاملة تسع دنيا الإنسان وآخرته.

ويتأمّل الإنسان فلا يجد مطلباً لدنياه وآخرته خارج هذه الرباعية.

فأين يكون موقع الزيادة من هذا الدعاء:

(وزدني من فضلك يا كريم).

فهل هناك مطلب خامس خارج هذه الرباعية يطلبها الإمامعليه السلام من الله تحت عنوان (وزدني من فضلك)؟

إن هذه الرباعية رباعية شاملة لعامة الناس الذين لا يهمهم إلاّ ما يعود إليهم بالخير والنفع وما يدفع عنهم الضر والسوء والشر في الدنيا والآخرة كيفما يبلغون إلى هذه الغاية.

فقد يطلب العبد من ربه ان يغفر له ذنوبه.. وهذه المغفرة قد تصدر من عند الله رحمة بعبده الذي يتضرع اليه في طلب المغفرة، وقد تصدر من الله رضا بعبده الذي يستغيث به ويستغفره ويسترضيه في طلب المغفرة.

وكل منهما مغفرة، ولكن شتان بين هذه المغفرة وتلك. وعباد الله بأزاء هذا المطلب طائفتان:

طائفة لا تهمهم إلاّ المغفرة وأن يرفع الله العذاب عنهم في الآخرة، كيفما يتحقق ذلك.

وقد ورد في دعاء الإمام الحسينعليه السلام في عرفة:

(وقد يغفر المولى لعبده وهو عنه غير راض).

وهذا مطلب مادي خالص يطلبه العبد من ربه وقد يطلب

العبد من ربه المغفرة ويطلب منه ان تصدر المغفرة منه عن رضا الله عن عبده.

فهو يطلب في الحقيقة رضا ربه عن عبده فإذا رضي الله عن عبده غفر له بالتأكيد.

وهذا المطلب يختلف اختلافاً جوهرياً عن الأول الذي قلنا عنه إنه مطلب مادي خالص يطلبه العبد من ربه.

كل منهما قد طلب المغفرة.

ولكن الأول طلب المغفرة كيفما تصدر المغفرة عن الله والثاني يطلب مرضاة الله والمغفرة لا تفارق مرضاة الله باليقين.

والله تعالى يقول: (ورضوان من الله اكبر) ومعنى ذلك ان رضا الله تعالى من عبده اعظم مما يتمناه في الدنيا والآخرة.

ورضوان الله لا يفارق النجاة من النار ولا يفارق نعيم الجنة، البتة، ولكنه اعظم منهما جميعاً.

وقد يطلب العبد من ربه نعيم الجنة ونضرتها، والله تعالى تعالى يهب نعيم الجنة ونضرة النعيم لمن يسألها من عباده

رحمة بهم وكرماً فإن الله كريم، رحمن، رحيم، وقد يهب عبده نعيم الجنة حباً له (**يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ**)[١].

ونعيم الجنة يحصل للعبد في الحالين معاً، وبينهما فرق كبير، فإن العبد يطلب في الحالة الأولى من ربّه نعيم الجنة محضاً، وهو طلب مادي محض، ويطلب في الحالة الثانية حبه، والنعيم الصادر من الله إلى العبد حباً له.. وبين هذا النعيم وذلك النعيم فرق شاسع.. إن النعيم الأول مطلب مادي خالص والنعيم الثاني يقترن بحب الله، وهو أعظم، وأين منه نعيم الجنة ونضرتها وحورها وغرفها، والذين يرزقهم الله حبه ويحبونه ليشغلهم ذلك عن نعيم الجنة، وترفها ونضرتها.

والإيمان يُكسِب الإنسان من عند الله رزقاً واسعاً في الدنيا والآخرة لا ينالها لولا الإيمان، فيطلب العبد من الله ان يرزقه إيمان المؤمنين الثابتين على الإيمان.

وفي عباد الله من يتجاوز حد الإيمان ويطلب من الله ان يرزقه اليقين، وهو أعز ما يرزق الله عباده من رزقه كما

---

(١) المائدة/ ٥٤ .

وردت بذلك الروايات الإسلامية.

**(قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَـكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي)**[١].

إن الذي يطلبه العبد من ربه في الدنيا والآخرة من النجاة من عذاب النار ونيل نعيم الجنة يحصل للعبد بالإيمان بالله والعمل الصالح بصورة كاملة، ولكن أولياء الله يطلبون أمراً آخر وأعظم من الإيمان بالله وهو اليقين الذي لا يناله إلا من اصطفى الله تعالى من عباده واجتباه لليقين وهم قليلون.

وخلاصة القول في هذه الفقرة: (وزدني من فضلك يا كريم): إن من عباد الله من يطلبون الدنيا والآخرة وما جعل الله تعالى فيهما من الخير والنعيم، ويطلبون من الله ان يجنّبهم السوء والعذاب والشرور في الدنيا والآخرة.

ومن عباد الله من يطلب وجه الله من الله، ويطلب مرضاته وحبه والمراحل العالية من معرفته ومن اليقين به.

وهذا المطلب الثاني أمر آخر غير ما يطلبه عامة من الله من الدنيا والآخرة.

---

(١) البقرة/ ٢٦٠ .

## ٣ـ التعليل والتفسير

وتأتي هذه الفقرة الأخيرة في الدعاء تفسيراً وتعليلاً للعطاء الإلهي الواسع العظيم واللامحدود أولاً وثانياً وثالثاً.

**أولاً**: في العطاء الإلهي اللامحدود والواسع لعبده لكل خير في الدنيا والآخرة (اعطني بمسألتي إياك جميع خير الدنيا وجميع خير الآخرة).

**وثانياً**: في التحصين الإلهي العظيم لعبده من كل شر وسوء يمكن أن يصيبه في دنياه وآخرته، وصرفه عن عبده بشكل مطلق (واصرف عني بمسألتي إياك جميع شر الدنيا والآخرة).

**وثالثاً**: فيما يطلبه العبد من ربه ان يزيده من فضله اللامحدود فينقل طلباته ومطالبه من حاجاته وشؤونه في الدنيا والآخرة إلى ذاته وصفاته الحسنى وجلاله وجماله.. وهذا عالم مطلق لا محدود، وإن كانت طلبات العبد في الحقل الأول والثاني واسعة وعظيمة، فإن طلبه الثالث غير محدود، لانه يدخل في عالم الجلال والجمال والجبروت. اللهم ارزقنا، ولا تحرمنا.

فيقف العبد مشدوها حائراً من هذه الجرأة العظيمة في

السؤال، أيحقّ له أن يسأل الله مثل هذا الطلب الواسع والعظيم اللامحدود؟ وبماذا يحق له مثل هذا السؤال؟ ومن هو؟ وما الذي قدمه العبد لمولاه بين يدي هذا السؤال؟

وكيف يجرأ على مولاه بمثل هذا السؤال؟

تلك أسئلة تراود الإنسان وهو على مشارف الدعاء الواسع العظيم. . ثم الطلب المطلق غير المحدود (وزدني من فضلك).

وهذا التعليل والتفسير يأتي في الموقع المناسب، للإجابة على هذه الأسئلة التي تراود نفس العبد، ليطمئنه ويبعث في نفسه الطمأنينة والرجاء والثقة بالإجابة من الله، وليشرح صدره لمثل هذا السؤال، فإن السؤال بين يدي ومن الله مهما عظم لا يخرج العبد عن حدّ الأدب في التعامل مع الله (فإنه غير منقوص ما أعطيت).

إن عطاء الله تعالى لعباده ورزقه لهم كامل غير منقوص، فإذا كان عطاء الله لعباده كاملاً غير منقوص، فلماذا ينقص دعاء العبد؟ وإذا كان عطاء الله بعباده جمّاً جزيلاً موفوراً مباركاً، فلماذا يقتر العبد في الدعاء والطلب. إنّ من ألأم اللوم أن يكون المسؤول كريماً جواداً ويكون عطاؤه جماً جزيلاً،

لا حدود له، ثم يبخل السائل في السؤال.

فإن ملك الله تعالى غير منقوص مهما اعطى الله عباده.

وقد ورد في الحديث القدسي: (لو أنّ أولكم وآخركم وحيكم وميتكم اجتمعوا فتمنى كل واحد ما بلغت أمنيته فاعطيته لم ينقص ذلك من ملكي)[١].

وعن رسول الله | من الحديث القدسي، عن الله تعالى: (لو أن أهل سبع سماوات وأرضين سألوني جميعاً، وأعطيت كل واحد منهم مسألته، ما نقص ذلك من ملكي، وكيف ينقص ملك أنا قيّمه)[٢].

وفي دعاء الافتتاح المروي عن الإمام المهدي القائم من آل محمد عليه السلام: (الحمد لله الفاشي في الخلق أمره، وحمده، الظاهر بالكرم مجده، الباسط بالجود يده، الذي لا تنقص خزائنه، ولا تزيده كثرة العطاء إلاّ جوداً وكرماً، إنه هو العزيز الوهاب).

إن خزائن رحمة الله تعالى لا تنقص بعطاءاته مهما كانت،

---

(١) بحار الأنوار ٩٣ / ٢٩٣ .

(٢) بحار الأنوار ٩٣ / ٣٠٣ .

ولكن يزداد بعطائه جوده وكرمه ومواهبه.

ونحن ندرك هـذه المسـألة بقياسـات عقليـة واضـحة، بـل بحكم الفطرة قبل حكم العقل.

فإن كل دعوة من العبد إلى الله لابـد ان تحمـل (الإجابـة) من الله لعبده، مهما كان حجم الدعاء والسؤال سـعة وعظمـة، وهذا قانون عام، إذا صغر الدعاء وإذا عظـم الـدعاء، مـن غيـر فرق.

**عوائق الإجابة:**

فإن العوائق التي تعيق إجابة الله تعالى لعبده علـى نحـوين، منها ما يرجع إلى المسؤول وهو الله تعالى ومنها ما يرجـع إلـى السائل وهو العبد.

والذي يرجع إلى المسؤول إمّا أن يكون مـن قبيـل العجـز عن الإجابة، أو من قبيل البخل والشحّ في الإجابة والعطاء.

وقد يرجع إلى السائل نفسه، كما لو كانت الإجابـة ليسـت في صالحه، وهو يجهل ذلك، والله تعالى يعلم به.

أما النوع الاول من العوائق فلا وجود له في سـاحة سـلطان الله، فإن سلطانه سبحانه وتعالى سلطان مطلق، لا يعجـزه شـيء ولا يفوته شيء، ولا يخرج عن سلطانه وقدرته شيء، ولا حـد

لجوده وكرمه، ولا تنقص خزائنه ولا تزيده كثرة العطاء الا جوداً وكرماً.

إذن فلا يمكن ان نتصور عائقاً عن الإجابة من النوع الأول.

وأما العوائق التي ترجع إلى السائل فهي امر ممكن، ويتفق كثيراً أن الله تعالى يؤخر إجابة دعاء عباده لا لبخل وشح في ساحته، ولا لعجز ولكن لعلمه بأن التأخير أصلح لحالهم، ويتفق كثيراً أن الإجابة تضر بالعبد، فلا يستجيب الله تعالى لدعوة عبده، ولكن يعوضه عن الإجابة بخير واسع في الدنيا، ومغفرة للذنوب أو درجات رفيعة في الآخرة أو كل ذلك جميعاً.

ونحن هنا نتحدث عن النوع الأول من العوائق اولاً، ثم نتحدث عن النوع الثاني من العوائق ثانياً، ثم نتحدث عن قانون التبديل والتأجيل في الإجابة.

## النوع الأول من العوائق

أما العوائق من النوع الأول فلا وجود لها، كما ذكرنا في ساحة سلطان الله تعالى وجوده، فإن سلطان الله سلطان مطلق

لا يعجز عن شيء، ولا يفوته شيء، ولا حد لسلطانه وقدرته، وكل شيء في الكون خاضع لسلطانه وقدرته، لا يمتنع عن إرادته وأمره شيء إذا قال له: (كن).

**(وَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ)**[١].

**(إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ)**[٢].

**(إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)**[٣].

وليس في الكون شيء يخرج عن قبضة سلطانه وقدرته:

**(وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ)**[٤].

**(إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)**[٥].

وأمره سبحانه وتعالى نافذ لا يوقفه شيء، ولا يعلقه شيء

---

(١) البقرة/ ١١٧ .

(٢) النحل/ ٤٠ .

(٣) يس/ ٨٢ .

(٤) الزمر/ ٦٧ .

(٥) آل عمران/ ١٦٥ .

ولا يعيقه شيء.

**(وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلاَّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)**[1].

ذلك من حيث سعة سلطانه وقدرته ونفوذ حكمه وأمره.

ولا وجود كذلك لشحّ أو بخل في ساحته، فهو سبحانه وتعالى الجواد الذي لا حدّ لجوده وكرمه.

**(رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْماً)**[2].

**(فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ)**[3]، وعطاؤه سبحانه عطاء ممدود غير مجذوذ: **(كُلاًّ نُّمِدُّ هَـؤُلاء وَهَـؤُلاء مِنْ عَطَاء رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاء رَبِّكَ مَحْظُوراً)**[4]. **(وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي الْجَنَّةِ. . عَطَاء غَيْرَ مَجْذُوذٍ)**[5].

---

(١) النحل/ ٧٧.
(٢) غافر/ ٧.
(٣) الانعام/ ١٤٧.
(٤) الاسراء/ ٢٠.
(٥) هود/ ١٠٨.

وإذا أراد الله إرسال رحمة فلا ممسك لها: **(مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ)**[(١)].

ولا نفاد لخزائن رحمته: **(وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)**[(٢)].

**(وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ)**[(٣)].

ولا تنفذ خزائن رحمته بما يهب عباده من رزق، ولا تزيده كثرة العطاء إلاّ جوداً وكرماً.

وفي دعاء الافتتاح: (الحمد لله الفاشي في الخلق أمره وحمده.. الباسط بالجود يده، الذي لا تنقص خزائنه، ولا تزيده كثرة العطاء إلاّ جوداً وكرماً).

يقول أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته لابنه الحسن عليه السلام برواية الشريف الرضي: (اعْلَمْ، أَنَّ الَّذِي بِيَدِهِ خَزَائِنُ

---

(١) فاطر/ ٢ .

(٢) المنافقون/ ٧ .

(٣) الحجر/ ٢١ .

السَّـموَاتِ وَالأَرْضِ قَـدْ أَذِنَ لَـكَ فِـي الـدُّعَاء، وَتَكفَّـلَ لَـكَ بِالأجَابَةِ، وأَمَرَكَ أَنْ تَسْأَلَهُ لِيُعْطِيَكَ، وَتَسْتَرْحِمَهُ لِيَرْحَمَكَ، وَلَـمْ يَجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ مَنْ يَحْجُبُكَ عَنْهُ، وَلَمْ يُلْجِئْكَ إِلَى مَـنْ يَشْـفَعُ لَـكَ إِلَيْـهِ، وَلَـمْ يَمْنَعْـكَ إِنْ أَسَـأْتَ مِـنَ التَّوْبَـةِ، وَلَـمْ يُعَاجِلْكَ بَالنِّقْمَةِ، وَلَمْ يَفْضَحْكَ حَيْثُ الْفَضِيحَةُ، وَلَـمْ يُشـدِّدْ عَلَيْـكَ فِـي قَبُولِ الأنَابَةِ، وَلَمْ يُنَاقِشْكَ بِالْجَرِيمَةِ، وَلَمْ يُؤْيِسْكَ مِنَ الرَّحْمَـةِ، بَلْ جَعَلَ نُزُوعَكَ عَنِ الذَّنْبِ حَسَنةً، وَحَسَبَ سَيِّئَتكَ وَاحِدَةً، وَحَسَـبَ حَسَـنَتَكَ عَشْـراً، وَفَـتحَ لَـكَ بَـابَ الْمَتَـابِ وبـاب الاستعتاب.

فَإِذَا نَادَيْتَهُ سَمِعَ ندَاك، وَإِذَا نَاجَيْتَهُ عَلِـمَ نَجْـوَاكَ، فَأَفْضَـيْتَ إِلَيْهِ بِحَاجَتِـكَ، وَأَبْثَثْتَـهُ ذاتَ نَفْسِـكَ، وَشَـكَوْتَ إِلَيْـهِ هُمُومَـك، وَاسْتَكْشَفْتَهُ كُرُوبَكَ، وَاسْتَعَنْتَهُ عَلَى أُمُورِكَ، وَسَأَلْتَهُ مِنْ خَزَائِنِ رَحْمَتِـهِ مَـا لاَ يَقْـدِرُ عَلَـى إِعْطَائِـهِ غيْـرُهُ، مِـنْ زِيَـادَةِ الأَعْمَـارِ، وَصِحَّةِ الأَبْدَانِ، وَسَعَةِ الأَرْزَاقِ.

ثُمَّ جَعَلَ فِي يَـدَيْكَ مَفـاتِيحَ خَزَائِنـهِ بِمَـا أَذِنَ لَـكَ فِيـهِ مِـنْ مَسْـأَلتِهِ، فَمَتَـى شِـئْتَ اسْـتَفْتَحْتَ بِالـدُّعَاء أَبْـوَابَ نعَمِـهِ، وَاسْتَمْطَرْتَ شآبِيبَ رَحْمَتِـهِ، فَـلاَ يُقَنِّطَنَّـكَ إِبْطَـاءُ إِجَابَتِـهِ، فَـإِنَّ

الْعَطِيَّةَ عَلَى قَدْرِ النِّيَّةِ)[١].

وفي الحديث القدسي: (يا عبادي كلكم ضال الا من هديته، فاسألوني الهدى أهدكم، وكلكم فقير إلاّ من أغنيته، فاسألوني الغنى أرزقكم، وكلكم مذنب إلاّ من عافيته، فاسألوني المغفرة أغفر لكم. . ولو أن أولكم وآخركم وحيكم وميتكم اجتمعوا فيتمنى كل واحد ما بلغت أمنيته، فأعطيته لم يتبين ذلك في ملكي. . فإذا أردت شيئاً فإنما أقول له كن فيكون)[٢].

**النوع الثاني من العوائق:**

أما النوع الثاني من عوائق إجابة الدعاء فكثير.

فقد تضر السائل إجابة الدعاء وهو يجهل ذلك، والله تعالى أعلم بحاله وصلاحه وفساده منه.

وقد يضره الاستعجال بإجابة الدعاء، والله تعالى يعلم أن التأخير في الاستجابة أصلح لحاله وأنفع له، فيؤخر الله تعالى الإجابة دون ان يلغيها أو ينفيها.

---

(١) نهج البلاغة، قسم الرسائل والكتب، الكتاب/ ٣١ .

(٢) تفسير الإمام: ١٩ - ٢٠، بحار الأنوار ٩٣: ٢٩٣ .

وفي دعاء الافتتاح: (فصرت أدعوك آمناً، وأسألك مستأنساً، لا خائفاً ولا وجلاً، مدلاً عليك فيما قصدت فيه إليك، فإن أبطأ عني عتبت بجهلي عليك، ولعل الذي أبطأ عني هو خير لي لعلمك بعاقبة الأمور).

وقد يؤخر الله تعالى إجابة دعاء عبده، كي يطول قيامه وتضرعه بين يديه تعالى، والله تعالى يحب ان يطول وقوف عبده وتضرعه بين يديه، ففي الحديث القدسي: (يا موسى، إني لست بغافل عن خلقي، ولكني أحب أن تسمع ملائكتي ضجيج الدعاء من عبادي)[١].

وعن الصادق عليه السلام: (إن العبد ليدعو فيقول الله عز وجل للملكين: قد استجبت له، ولكن أحبسوه بحاجته، فإني أحب أن أسمع صوته، وإن العبد ليدعوفيقول الله تبارك وتعالى: عجلوا له حاجته فإني أبغض صوته)[٢].

## قانون التبديل والتأجيل:

ولكن حتى لو كانت الإجابة تضره فإن الله تعالى لا يلغي

---

(١) عدة الداعي.

(٢) وسائل الشيعة، كتاب الصلاة، ابواب الدعاء، باب ٢١، ح ٣.

الإجابة بشكل مطلق، وإنما يبدله إلى كفارة لذنوبه، وغفران لها، أو إلى رزق يرزقه إياه في الدنيا عاجلاً أو درجات رفيعة له في الجنة، وهو معنى قوله صلى الله عليه وآله وسلم - كما في الرواية - : (ما من مسلم دعا الله سبحانه دعوة ليس فيها قطيعة رحم ولا إثم، إلاّ أعطاه الله إحدى خصال ثلاثة: إما ان يعجل دعوته، وإما أن يؤخر له، وإما أن يدفع عنه من السوء مثلها). قالوا: يا رسول الله، إذن نكثر، قال: (أكثروا)[١].

وأيضاً عن رسول الله | : (الدعاء مخ العبادة، وما من مؤمن يدعو الله إلاّ استجاب له، إما أن يعجل له في الدنيا، أو يؤجل له في الآخرة، وإما أن يكفر من ذنوبه بقدر ما دعا ما لم يدع بمأثم)[٢].

ويقول أمير المؤمنين في وصيته لابنه الحسن 8 كما في رواية الشريف الرضي: (فَلاَ يُقَنِّطَنَّكَ إِبْطَاءُ إِجَابَتِهِ، فَإِنَّ الْعَطِيَّةَ عَلَى قَدْرِ النِّيَّةِ، وَرُبَّمَا أُخِّرَتْ عَنْكَ الأْجَابَةُ، لِيَكُونَ

---

(١) وسائل الشيعة ٤ / ١٠٨٦، ح ٨٦١٧ .

(٢) وسائل الشيعة، كتاب الصلاة، ابواب الدعاء، باب ١٥ و ٤: ١٠٨٦،ح/٨٦١٨ .

ذِلكَ أَعْظمَ لاَجْرِ السَّائِلِ، وَأَجْزَلَ لِعَطَاء الآمِلِ، وَرُبَّمَا سَأَلْتَ الشَّيْءَ فَلاَ تُؤْتَاهُ، وَأُوتِيتَ خَيْراً مِنْهُ عَاجلاً أَوْ آجِلاً، أَوْ صُرِفَ عَنْكَ لِمَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ، فَلَرُبَّ أَمْر قَدْ طَلَبْتَهُ فِيهِ هَلاَكُ دِينِكَ لَوْ أُوتِيتَهُ، فَلْتَكُنْ مَسَأَلَتُكَ فِيما يَبْقَى لَكَ جَمَالُهُ، وَيُنْفَى عَنْكَ وَبَالُهُ، فَالْمَالُ لاَ يَبْقَى لَكَ وَلاَ تَبْقَى لَهُ)[1].

وإذا جمعنا بين هذه النصوص نلتقي خمس حالات في الإجابة:

١- (التعجيل) في الإجابة للحاجة التي يدعو الله تعالى بها العبد.

٢- (التأجيل) في الإجابة للحاجة التي يسألها العبد من ربه.

٣- (التبديل) في الإجابة وذلك بدفع السوء عن الداعي إذا كانت إجابة الداعي إلى حاجته ليست في صالحه.

٤- (التبديل) في الإجابة بما يرزق الله تعالى عبده من الدرجات والنعم والمنح في الآخرة، ومن الرزق والرحمة في الدنيا، إذا كانت إجابة الداعي إلى طلبه ليست في صالحه.

عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: (والله مصير دعاء المؤمنين

---

(١) نهج البلاغة، قسم الرسائل والكتب، الكتاب/ ٣١.

يوم القيامة لهم عملاً يزيدهم في الجنة)[١].

وفي حديث آخر عن أبي جعفر الباقر عليه السلام: (والله ما أخّر الله عز وجل عن المؤمنين ما يطلبون من هذه الدنيا خير لهم عما عجّل لهم منها)[٢].

٥- (التبديل) في الإجابة بما يكفر الله تعالى من ذنوبه وسيئاته، إذا كانت إجابة الداعي ليست في صالحه[٣].

وقد لا يكون التبديل والتأجيل لمصلحة الداعي فقط في حالتي تأجيل الإجابة وإلغائها، وإنما قد يكون ذلك لمصلحة النظام الذي يشمل السائل وغيره، فيكون في إجابة الدعاء أو التعجيل في الإجابة إخلال بمصلحة النظام الذي أقره الله تعالى للإنسان خاصة، أو الكون عامة[٤].

---

(١) وسائل الشيعة ٤ / ١٠٨٦، ح ٨٦١٥ .

(٢) قرب الاسناد: ١٧١، اصول الكافي / ٥٢٦ .

(٣) الثلاثة الاخيرة تختص فقط بحالة إلغاء دعوة العبد، فقد يرزق الله تعالى عبده مع استجابة دعائه كفارة ذنوبه ودفع السوء عنه ودرجات رفيعة في الآخرة.

(٤) الدعاء عند أهل البيت (ع) لكاتب هذه السطور، ص/ ٥١ - ٥٨، ط ١٣٨٠هـ . ق.

## الشطر الثاني من الدعاء

يا ذا الجلال والإكرام.

يا ذا النعماء والجود.

يا ذا المن والطَّول.

«حرّم شيبتي على النار».

وهذا هو الشطر الثاني من الدعاء: «حرّم شيبتي على النـار». يسبقه ثلاثة نداءات بأسماء الجلال والجمال.

فلنتأمل النداءات الثلاثة الأولى، أولاً، ثم ننظر في الدعاء.

### النداء الأول:

«يا ذا الجلال والإكرام»

والجـلال يـأتي بمعنـى العظمـة، وبمعنـى التنزيـه. وعلـى التفسـير الأول يكـون المعنـى يـا ذا العظمـة والإكـرام، وعلـى التفسـير الثـاني يكـون المعنـى تنزيـه الله عـن الظلـم والجهـل والعجز والفقر والبخل، والله تعالى ذو الجلال: لا يظلـم عبـاده ولا يعجـز عـن إجابـة دعـائهم ولا يبخـل عـن عطـائهم، ولا يجهل فقرهم وحاجتهم.

وذو الإكرام: يكرمهم ويحسن إليهم.

والأول من أسماء الجلال، والثاني من أسماء الجمال، والعبد يلجأ إلى الله من خلال أسماء الجلال والجمال.

**والنداء الثاني:**

«يا ذا النعماء والجود».

والله تعالى مالك النعماء وخالقها وواهبها وهو سبحانه الجواد الكريم.

فهو سبحانه يملك النعمة، ولا نفاذ لملكه وخزائن نعمه: {**وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ**}[1].

وهو سبحانه جواد كريم، لا حدَّ لجوده وكرمه، ولا بخل في ساحته، تعالى عن ذلك علواً كبيراً، فهو ذو النعماء والجود.

فَلِمَ لا يحسن إلى عباده؟ ولم لا يكرمهم ويستجيب لدعائهم إذا سألوه؟!.

وإنّما يتوقف من يتوقف عن العطاء والاستجابة إذا كان قاصراً عاجزاً لا يملك، أو كان بخيلاً لا تسمح له نفسه

---

(١) المنافقون: ٦٢

بالعطاء، كما قلنا قبل قليل.

وقد تنزّه ربنا سبحانه وتعالى عن كل منهما: عن الفقر والعجز، وعن البخل والشحّ.

فلِمَ لا يحسن إلى عباده ويعطيهم كلّما يسألوه، وهو سبحانه قادر على العطاء لأنه ذو النعماء الذي لا نفاد لنعمه، وهو جواد كريم يحب الجود والكرم، ولا بخل في ساحة جوده وكرمه.

وإذا كان المسؤول كريماً يحب العطاء، ويدعو للسؤال فإن التوقف والتقتير في السؤال والدعاء من السائل من أقبح اللؤم، كما قلنا.

**والنداء الثالث:**

«يا ذا المن والطَّول»

المن: العطاء، والمنّان من أسماء الله تعالى.

وقد ورد في دعاء الأسحار للإمام علي بن الحسين عليه السلام برواية أبي حمزة الثمالي: «أنت المنّان بالعطيات على أهل مملكتك».

وهو من الـمَنّ بمعنى العطاء، وليس من «المِنّة». بمعنى الاعتداد في العطاء.

فإن المنّ بمعنى العطاء إلى من لا يستحقه، دون أن يطلب منه جزاءاً أو يكلفه جهداً، وهو معنى «المنان» من أسماء الله الحسنى.

وقد يطلق «المنّان» على الذي لا يعطي شيئاً إلا مَنَّ على من دفع إليه واعتد به على من أعطاه، وهو مذموم، إذا كان من الإنسان لأن المنة تفسد العطية، يقول تعالى:

**{وَلا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِر}**[١].

وأما قوله تعالى: **{قُلْ لا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَان}**[٢] فإن إسناد المنّ إليه تعالى من باب المشاكلة، وأنه كان حقّه أن يمنّ على عباده بما أنعم عليهم من الهداية[٣].

---

(١) المدثر: ٦.

(٢) الحجرات: ١٧

(٣) هكذا يقول المفسرون في تفسير آية الحجرات ١٧ وأنا اعتقد خلاف ذلك، فإن الله تعالى أهل للمنّ والكبرياء والعظمة والجبروت، وهو يمنّ على عباده بحق، وهو أهل للمنّ، كما هو أهل للكبرياء والتكبر.

والطَّول بمعنى الفضل. ومنه الحديث «تطاول عليهم ربهم بفضله» أي تطوّل[1]، والنداء هنا لله تعالى بهذين الوصفين: وصف المن والعطاء، ووصف الطول والفضل.

ويمنّ الله على عباده المذنبين بالعطاء والرحمة لأنه ذو النعماء، ولا نفاد لخزائن رحمته ونعمته، وذو الجود ولا أثر للبخل في ساحته.

ويمنّ عليهم بالعفو والمغفرة لأنه ذو المنّ والطول، والفضل على عباده.

وأسماء الجلال والجمال مفاتيح خزائن الرحمة، فإذا أراد العبد باباً من أبواب الدعاء سأل الله تعالى باسمه الذي يناسب ذلك الباب.

وهنا السؤال عن العفو والمغفرة والرحمة ، وهو مناسب أن يكون بهذه النداءات التي تستثير عفوه تعالى ومغفرته وتجاوزه، وتفتح على العبد أبواب رحمته.

وبعد هذه النداءات الثلاثة يأتي دور الدعاء وهو:

«حرّم شيبتي على النار».

---

(١) لسان العرب ١١: ٤١٤

ولهذا الدعاء تفسيران، وكل منهما صحيح فقد يكون الدعاء دعاءاً بالأسباب أي يرزقه الله تعالى الأسباب التي تحصّنه من الشرك، والمعاصي والذنوب.

والتوحيد يحصّن صاحبه من الشرك، والتقوى تحصّن صاحبها من الذنوب والمعاصي.

وبالتوحيد والتقوى يستر الله عبده ويعافيه من الشرك والذنب، وهذا هو الدعاء بالأسباب.

وقد يكون معنى هذه الفقرة من الدعاء أن يغفر الله تعالى له ذنوبه التي يستحق عليها النار.

والذنوب والمعاصي، إذا كانت تقترن بالندم والتوبة، وتتجرد عن اللجاج والعناد والإصرار.. فإنها تستنزل العفو والمغفرة والرحمة من عند الله تعالى.

يقول تعالى: **{قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا}**[١].

---

(١) الزمر: ٥٣.

وهذه من أرجى الآيات في كتاب الله تعالى، ففي هذه الآية الكريمة تستنزل الذنوب والمعاصي بنفسها العفو والرحمة من عند الله، كما يستنزله الاستغفار والدعاء.

فتستنزل الشيبة الملوثة بالذنوب والمعاصي رحمة الله تعالى وعفوه ومغفرته، إذا كان صاحبها شاعراً بالندم والخجل من عند الله، قد أقلع عن ذنوبه ومعاصيه، كما تستنزل الشيبة الصالحة رحمة الله وجوده وكرمه وعفوه.

إلا أن هناك فرقاً بين هذا الاستنزال وذلك الاستنزال.

وقد قلت من قبل: إن الله تعالى كريم، كما ورد في الروايات، ومن كرم الله تعالى إكرام ذي الشيبة في الإسلام.

وورد في الحديث أنّ الله تعالى يستحي من ذي الشيبة في الإسلام ان يعذبه ويعاقبه بسيئات أعماله[1]. فإذا عرف العبد المذنب ذو الشيبة في الإسلام هذا الكرم والتكريم من ربه عز

---

(١) عن رسول الله صلى الله عليه وآله: (يا أبا ذر، إن من جلال الله إكرام العلم والعلماء وذي الشيبة المسلمة، وإكرام حملة القرآن والعاملين به وإكرام السلطان المقسط. أمالي الطوسي ١ / ١١٢.

وجل كان كمن يحتمي بشيبته من عذاب غضبه ونـار سـخطه ويرفع شـيبته التـي لوثتهـا الـذنوب والمعاصـي إلـى الله تعـالى ليغفر له سبحانه ذنوبه ويحرم جسمه على النار، إذا حرّم شـيبته على النار.

وهذا الدعاء يحمل مـن ذل العبوديـة والتقصـير بـين يـدي رب العالمين ما يستنزل رحمة الله تعالى على عباده.

ويتضــمن هــذا الــدعاء الرقيــق إلــى جانــب ذل العبوديــة والتقصير بين يدي الله خجل العبد وحياءه من الله إذ يرفع اليـه تعالى شيبته التي قد لوّثها بذنوبه وجرائمه فـي حياتـه.. فيرفـع إلى الله تعالى ذلّه وحياءه ويقول بلسان الحال: ها أنا ذا قـدمت عليـك ربّ بكـل ذنـوبي ومعاصـيي التـي أذلتنـي بـين يـديك، وأخجلتني منك، فتعامل معي بكرمك ولطفـك، وقابـل ذنـوبي بكرمـك وقابـل جرائمـي بعفـوك، ومعاصـيي بغفرانـك، فـإن ذنـوبي وجرائمـي وعصـياني مهمـا كـان حجمـه فـلا يطـاول كرمك وعفـوك وغفرانـك، فـإن ذنـوبي ومعاصـيي وجرائمـي محدودة، ولا حدّ لكرمك وعفوك وغفرانك.

وما أجمل كلمات أميـر المـؤمنين علـي (ع) فـي المناجـاة

الشعبانية: (اِلـهي اِنْ اَخَذْتَني بِجُرْمـي اَخَـذْتُكَ بِعَفْـوِكَ، وَاِنْ اَخَذْتَني بِذُنُوبي اَخَذْتُكَ بِمَغْفِرَتِكَ، وَاِنْ اَدْخَلْتَني النّارَ اَعْلَمْـتُ اَهْلَها اَنّي اُحِبُّكَ).

# الفهرس